

فَكَاهَاتِ

رَقَائِصُ

الانتقام^(١)

كانت بلاد النمسا ايلاتٍ يتولى عليها الحكام بامر امبراطورها ولكل
ايلةٍ محاكم خصوصية مرجعها الى العرش الامبراطوري في فيينا . وكان
في احدى الايلات الجنوبية المسماة كريتيافتي في الثامنة عشرة من عمره
يُدعى ثيودور كان قد توفي والدهُ وربى في بيت عمه وكان عمه قسيساً عالماً
فاعتنى بهذيبه وتعليمه فما بلغ السن المذكورة حتى احرز حظاً صالحاً من العلم
ونشأ على الآداب الحسنة . واتفق يوماً ان ثيودور خرج الى غابةٍ بقرب
بلدته للتنزه ويده كتاب يطالعه فيينا هو يتمشى في جوانب الغابة استدعى
انتباهه صوت فتاة تستغيث فاسرع الى ناحية الصوت وقبل ان يدرك
الطريق رأى عربةً يجرها فرسٌ قد جمح وجعل ينهب الارض ولم يكن في
العربة سوى فتاة تبلغ السابعة عشرة من سننها لم تقوَ يداها الضعيفتان
على كبح جماح الفرس الشارد فاستسلمت للقضاء وكان صوت دوايب العربة
يزيد الفرس نفوراً فيشتد ركضه . ولم يكن بعد ذلك الا لحظة حتى صارت
العربة بقرب ثيودور ورأى الفتاة فيها على تلك الحال فلم يسهه الا ان هجم

(١) معركة عن الانكليزية بقلم نسيب افندي المشعلاني

لتخليص تلك الفتاة المسكينة ولم يكن معه شيء يستطيع به رد جماح القرس سوى عصاه فرفعها وضرب بها رأس الجواد بمنتهى قوته فوقف للحال واسرع ثيودور فقطع عنانه وربطه به الى شجرة قريبة ثم انزل الفتاة وكانت قد اغمي عليها فوضعها على الارض وجعل يتأمل في وجهها فرأى من بديع التكوين وجمال الطلعة وبهاثها ما سلب رشده وخب فؤاده ولبث كذلك حيناً وقد اذهله ذلك المنظر عما يجب صنعه في تلك الساعة . ثم انبه فجأة كمن افاق من نوم عميق وجعل يعدو في تلك الناحية حتى اصاب موضعاً فيه ماء فاغترف منه في طاس كان معه وعاد الى الفتاة فرشاه على وجهها ثم اخذ يفك ما على صدرها من الأزرار ليفرج عنها وبينما هو يتأمل في ذلك البياض الناصع واللون الفضي فتحت الفتاة عينيها وقالت اين انا . فقال لا تخافي ايها السيدة فانت في سلام . ولم تطل مدة مكثها على تلك الحالة حتى نهضت ولما علمت بما جرى جعلت تثني على ثيودور وتشكر احسانه لا نقاذها من الموت . وكان ثيودور كالسحور بجها لها فلم يجب بكلمة ثم جثا على ركبتيه امام تلك الفتاة واعترف لها بحبته وبعد ان جلسا حيناً يتحادثان وقد وقع من قلبها مثل موقعها من قلبه سأل عن اسمها فاخبرته ان اسمها كاترين وان اباها من اشراف البلاد . ثم اخذا يتحاذبان حديث الحب ولما وثق بميلها اليه عرض لها بطلب الاقتران فسألته عن اسرته وشغلته ومقامه فاعلمها انه من اسرة كريمة تعرف بال كرتور قال واما شغلي ومقامي فاني لم اختم دروسي الا من بضعة اسابيع ولكني مع ما حصلته من العلم وما اعلم في نفسي من علو الهمة والاقدام على الامور اوئل مستقبلاً حسناً . وبعد

حديث طويل اجلى اجتماعهما عن تصميم ثودور على دخول الجندية آملاً ان ينال نبسالته واقدامه مقاماً سامياً وشرفاً رفيعاً يؤهله للحصول على كاترين ووعده هي ان لا تميل الى سواه وانها ستحافظ على محبته وولائه وتنتظره ما شاء الله الى ان يبلغ المقام المطلوب . وبعد ذلك نهضا فاركب ثودور كاترين في عربتها وركب الى جانبها حتى اوصلها الى البيت خوفاً من تكررها حدث سابقاً ثم ودعها وسارموي تشير اليه بمنديلها وترافقه بدعائها

وعاد ثودور الى عمه فاعلمه بتصميمه على دخول الجندية وطلب اليه ان يكلم القائد كروزكي في امره فسرّ عمه لهذا الامر ووعده خيراً وكان ذلك في اثناء المعارك العظيمة التي كانت قائمة بين دولة النمسا والدولة العثمانية . ولما كان الصباح التالي اخذ كروتور ابن اخيه ثودور وتوجها الى مقام القائد كروزكي فلما وقف ذاك على رغبة الفتى اظهر سروره وقبل حالاً انضمامه الى فرقته . ولم يأت على ثودور ايام كثيرة حتى عين في الجندية فارتدى الثوب العسكري وجعل يتمرّن مع العساكر واحبه القائد كروزكي كثيراً فكان يعامله كولد ويهد له سبل التقدم والنجاح . وكان الحب المتبادل بين ثودور وكاترين في ازدياد دائم وكانت تأتي كل يوم الى محل عرض الجنود فتمتع نظرها برأى ثودور وهو يتخطر كالغزال ويراه هو فينتعش فؤاده

وكان حاكم كريشيا ظالماً عاتياً سفاحاً قد اجتمعت فيه اقبح الصفات وارداً الخصال ولم يكن عليه امر في ايلته فاستعمل ما شاء من المظالم والقسوة وكان اذا مر في شارع اوجب على القوم جميعاً ان يخرجوا من محلاتهم

الى الطريق ويقفوا لاستقباله ورؤوسهم محية . وحضر يوماً الى محل تمرين
 المساكر فرأى كاترين في عربتها فسأل عنها فقبل له انها مخطوبة لجندي
 يدعى ثيودور . فاستاء من مجرد ذكر الامر امامه وقال هل بلغ من هؤلاء
 الجنود المحترمين ان يفتكروا بامر الحب ايضاً لا شك ان ذلك من نقص
 تدريب القائد كروزكي فينبغي ان انبهه الى مثل هذا الامر الذي لا يسمح
 بحدوثه . ثم اسرع بجواده ليلبلغ الامر الى القائد وبينما هو سائر بين الصفوف
 رأى جندياً لم يحن رأسه اجلالاً له فسأل عنه فاخبروه ان هذا ثيودور
 خطيب الفتاة . فهاج غيظه الكامن وبلغت منه الحدة مبلعها فصاح به احن
 رأسك ايها الغلام امام مولاك واحذر ان ترفع نظرك اليّ بعد الآن . ولم
 يكن ثيودور معتاداً سماع مثل ذلك فهاج الدم في رأسه والقي نظراً حاداً
 في وجه الحاكم ولم يجبه . فزاد ذلك في غيظ الحاكم فلكرز جواده حتى اقترب
 من ثيودور ثم رفع سوطه وضربه به ثلاثاً قائلاً يظهر انك حديث الخدمة
 ايها الوغد فيجب ان ينالك شيء من التريية . ولكنه ما كاد يلفظ الكلمات
 الاخيرة حتى رمى ثيودور بندقيته من يديه ووثب الى الحاكم فاقتلعه من
 السرج باسرع من لمح البصر وضرب به الارض . وللحال هجم الحرس
 فامسكوا ثيودور وانهضوا الحاكم فرجع الى بيته وهو يرغي ويزبد واصدر
 حكماً عاجلاً بقتل ثيودور في الصباح الثاني

وبات ثيودور تلك الليلة في سجنه يفكر فيما حدث له في يومه وقد
 ايقن بحلول الاجل وانه لا بد من قتله في صباح الغد . وانه كذلك واذا
 بباب سجنه قد فُتح ودخل عليه القائد كروزكي ثم قال له اني اعزك يا

ثيودور كولدي واني لفي غاية الاسف على ما حصل اليوم وقد احضرني اليك الآن اني سمعت من احد اخصاء الحاكم انه ندم على حكمه العاجل وهو يود خلاصك ان كان في الامكان لانه هو كان البادئ باهانتك وعليه فانا اشير عليك ان تطلب مواجهة فتجثو على اقدامه وتسأله العفو فلا يبخل عليك به . فقال ثيودور اأتنازل لهذا الوحش الضاري وانا لست مجرماً كلاً فاني افضل ان يقطع حبل حياتي عاجلاً على ان اركب مثل هذا الذل . قال كروزي ولكنك فتى في اوائل العمر يا ثيودور وامامك حياة باسمة ومستقبل سعيد أفلا يستحق ذلك تنازلك القليل للحاكم مهما كانت صفاته . فجعل ثيودور يفكر في حبيبته كاترين وفي موته العاجل بعد ان كان قد وطد الامل على احراز ما يؤهلها للاقتران بها والسعادة بقربها فلم يملك عينيه من البكاء . ثم نظر الى قائده فقال انك بكلامك تكسر قلبي وتضرب على اشد الاوتار تأثيراً في فاتوسل اليك ان لا تسهل علي هذا الامر فقد وطئت نفسي على لقاء المنية وهدم مستقبل حياتي دون الازعاج للتنازل الى هذا اللائم فانه لن يراني جانياً امامه وفي من الحياة بقية

ولما رأى القائد ان لا امل في اقناع ثيودور ودعه معانقاً اياه والدموع تخنق كلماته وخرج . وعاد ثيودور الى التفكير في امره ففرق في بحر تأملاته الى ما بعد منتصف الليل وحينئذ فُتح باب سجنه ثانية وكان الداخل في هذه المرة كاترين فوثب ثيودور لاستقبالها وقد اخذه اشد العجب من حضورها اليه في مثل تلك الساعة ف اشارت اليه ان يصمت واخذت تقص عليه حديث مجيئها فقالت انني ذهبت الى بيت القائد كروزي لاطلب منه جوازاً

يبيع لي المجيء اليك فقبل لي انه هنا فانتظرتُه ريثما عاد وكان حزينا جدا فلم
 يذق طعاما ولم يواجه احدا من أسرته واوصى الخدم ان لا يأذنوا لاحد في
 الدخول عليه. اما انا فالحجت في طلب مقابله ولما علم اني انا خطيبتك اذن
 لي في ذلك وذكر لي ما دار بينكما من الحديث ثم اعطاني الجواز الذي به
 تمكنت من الدخول اليك في سجنك . والآن وقد صممت على لقاء المنية
 مفضلا اياها على السقوط امام هذا الحاكم الجائر فليس لي ما اقوله في ذلك
 ولكن جئتك يا حبيبي ثودور لأسهل لك سبيل الفرار فهلم بنا واخرج من
 سجنك واهرب في هذا الليل الدامس الى حيث تأمن هذا الوغد وجدا هناك
 في تحسين احوالك حتى اذا قررت امر مستقبلك تستقدمني اليك فاوافيك
 ونقضي بقية ايامنا معا . فكان ثودور يسمعها بسرور ولكنه لم يلبث ان
 انتفض فجأة وقال لا لا كيف اهرب واعرض حياة البريء لتجرع كأس
 الموت مكاني فاني اذا فررت لا يتأخر الحاكم عن استدعاء السجناء ومعاملة
 بما كان موعدا لي . قالت كاترين ولكني قد تداركت ذلك ورشوت السجناء
 واقنعتهم بالفرار معك الى ان تخرجوا من البلدة فيذهب كل الى سيده . فتبسم
 ثودور ثانية ثم قال ولكن ألا أحسب جباناً اذا فررت من الموت . قالت
 ان الوقت اضيق من ان اجادل في هذه الامور ولكن اسمع يا ثودور
 انك قد وهبتي حياتك فلم يعد لك حق التصرف فيها وانا اريد ان تحافظ
 على هذه الحياة فياك ان تعصيني واني قد جهزت لك كل شيء فهلم بنا
 فالوقت ثمين . ثم وضعت في يده كيسا من النقود وقالت خذ هذا فربما
 ساعدك في سفرك واذا خرجت من هنا ترى عند الباب الثاني جوادا فاركبه

وسر على بركات الله . فوقع ثيودور على عنق كاترين يقبلها ويودعها وهي تلح عليه بالاسراع في الخروج حتى خرج فرأى السجنان في انتظاره مع الجواد فركب الاثنان وسارا يخفياهما ستار الليل المدهم . ولما خرجا من المدينة فصل السجنان عنه وسار في طريقه وانطلق ثيودور بحصانه في وجه البر وهو لا يدري الى اين يذهب او ماذا يفعل

ولبت ثيودور يتردد مستخفياً في بعض قرى كريشيا وهو يتنسم اخبار الحاكم من حيث لا يشعر به فبلغه يوماً انه طلبه في صباح اليوم الثاني من سجنه ولما علم بفراره مع السجنان بلغ منه الخلق ان صب كاس انتقامه على اسرة ثيودور فقتل عمه ونفى زوجة عمه وهدم بيته الى اساسه ولم يكن ثيودور ينتظر مثل هذه القساوة البربرية فجعل يفكر في الانتقام من هذا الحاكم . وكان في تلك الاثناء ان ابتدأت المناوشات بين الجيوش التركية والنمساوية على الحدود الفاصلة بين المملكتين فعزم ثيودور ان ينضم الى الجيش التركي عسى ان تمكنه الفرص من الاخذ بشار عمه وشفاء حزازات صدره فطفق يجد السير ويصل ليله بنهاره حتى بلغ الآستانة وهناك اجتهد حتى وفق الى مواجهة وزير الحربية فاطلعه على بعض ما في نفسه وميله الى الانتظام في سلك الجندية التركية ونال ثيودور حظوة في عيني الوزير فقبله في الجند وقاده رتبة ضابط وفوض اليه قيادة فرقة من عساكره . وكان ذلك جل ما يتمنى ثيودور فطارت نفسه فرحاً وجعل يهتم في تدبير عساكره وتدريبهم ورأى الوزير رغبته واستقامته فبعث به مع الحملة السائرة الى حدود النمسا لمقابلة جيوشها وصدهم عن الدخول الى الحدود العثمانية . وكان ثيودور يسير

كمن يسير الى مأدبة حتى بلغت الجيوش الحدود وانتشبت المعارك بين المملكتين على ما هو معلوم في التاريخ . اما ثودور فكان يزوج نفسه الى اشد مواقع القتال خطراً ولا ينفك في طليعة جنوده يشجعهم ويحثهم على الاقدام وكانت رغبته في الانتقام من الحاكم من جهة والسعي في سبيل الارتقاء من جهة اخرى يزيدانه جرأة وثباتاً في الحرب فلم يمر بجيش الا اباده ولا يبرح الا غادره دكاً ولا قرية الا تركها رماداً . وكانت اشهر مواقعه في كريتيا حيث اشتبك القتال ورأى الحاكم في مؤخر العسكر يراقب القتال فشق ثودور بجنوده صفوف الاعداء حتى بلغ الحاكم وتقابل الاثنان . ولما رأى الحاكم ثودور عرفه فاستل سيفه وهجم عليه وهو يقول اليك يا خائن الوطن والدين . فاطبق ثودور عليه ولم يمهله ريثما استل الحسام حتى طعنه في صدره فارداه قتيلاً فصاحت الجنود العثمانية بالتهليل والتكبير وولت جنود النمسا الادبار فقبعهم ثودور برجاله مسافة خمسة اميال

وكانت تصل الى الآستانة التقارير اليومية عن اعمال الجنود وبلغ السدة الشاهانية افعال ثودور فاحسنت اليه بالالوسمة السنية والجوائز الطائلة ولم يزل يتقدم ومنزلته ترتفع في العيون مدة خمس سنوات متوالية حتى انقضت الحرب وقد نال لقب باشا واصبح لديه من المال والجاه ما ليس بعده من مزيد ولما خلا باله واستقامت احواله ارسل في طلب كاترين فوافته مع والديها الى الاستانة فعقد له عليها وبعد ان اقام والداها عنده مدة عادا الى بلادهما ولبث ثودور بالالاستانة محفواً بالاكرام والانعام وعاش مع زوجته سعيداً مسروراً الى ان فرق بينهما داعي الحما